

محدث في التصوف

(٢)
محبة الله

الأستاذ حسن كامل المطاوى
وكيل وزارة الخزانة

محاضرة ألقاها بنادى التجارة بالقاهرة

يوم الأربعاء { ١٩ من رمضان سنة ١٣٧٩
١٦ من مارس سنة ١٩٦٠ }

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث فى التصوف

(٢)

محبة الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد الذى جاءنا بالهدى ودين الحق فكنا بفضلله من المؤمنين الموحدين ، ورضى الله تعالى عن آله وصحابته العظام الذين أخلصوا دينهم ودلوا بصدق أتباعهم لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبتهم لله ففازوا برضاه ، وعن أئمة التصوف الذين هاموا مثلهم فى حب الله وآثروه تعالى على كل ما سواه فنالوا السعادة الأبدية ، وعن شيوخى الصوفية الذين رأيت فيهم صورة من صور أهل المحبة الأولين .

صلة المؤمن بربه :

كان لى حديث سابق فى التصوف تحدثت به يوم الخميس ٢٨ من شعبان ١٣٧٩ الموافق ٢٥ من فبراير سنة ١٩٦٠ بقاعة المحاضرات الأزهرية . وقد بينت فيه أن صلة المؤمن بربه جل وعلا صلة روحية قديمة العهد لأنها سابقة على وجوده فى هذه الدنيا بدليل قوله تعالى :

" واخذ ريك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى " .

أى أنت ربنا ، وهذا الأتصال الأول انطوى على عبادته تعالى ولكنها عبادة بالتعريف وليست عبادة بالتكليف .

وشرحت فى ذلك الحديث ما كان من هبوط سيدنا آدم عليه السلام إلى الأرض واستخلافه فيها وقيامه بالدعوة إلى توحيد الله وعبادته ، وكيف تجددت هذه الدعوة على ألسنة الرسل فى الأجيال اللاحقة حتى ختمت الرسالات بالرسالة المحمدية .

وبينت ان الاسلام انتشر فى أوسع أفق وفى أضيق وقت بفضل الميراث الروحى الذى من به الله على الأمة المحمدية التى وصفها بقوله الكريم :

" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " .

الميراث الروحى وانتقاله من جيل إلى جيل :

كذلك تحدثت عن انتقال الميراث الروحى من جيل الصحابة إلى التابعين ، ومن التابعين إلى تابعى التابعين وهؤلاء هم خير القرون .

وقد تغيرت أحوال المسلمين بعد هذه الأجيال الثلاثة تغيرا ملحوظا ، وجاء هذا التغير نتيجة لاتساع الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بالعجم وتسرب الفلسفة اليونانية وظهور البدع وقلة العمل وكثرة الجدل .

وهنا هب السادة الصوفية يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر وجعلوا للناس من أنفسهم مثلا عليا على نهج السابقين الأولين ، فاعتصموا بالكتاب والسنة ، وتأدبوا بالآداب الإسلامية الصحيحة ، وتخلقوا بالأخلاق المحمدية الكريمة ، وآثروا الله تعالى على ما سواه طلبا لرضاه ، وقد آتت أطيب الثمرات وكشفت عن أصحاب المجاهدات والمقامات ، " أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب " .

وإذا رجعت إلى محاضراتى تلك ، وهى الآن مطبوعة ومنها نسخ كثيرة بمكتبة النادى لوقفتم على معنى التصوف واشتقاقه وأهدافه

وأساليب الصوفية فى نشر مبادئهم ، وعرفتم أنه من صميم الدين وأنه يجب على كل مؤمن أن يتصوف ويتخذ له أستاذاً ناضجاً يربيه فى سلوكه إلى الله تعالى . وقد بينت شروط ذلك الأستاذ لأيسر لكم سبيل الاستدلال عليه .

محبة الله :

وقد أردت أن أضيف حلقة جديدة إلى سلسلة حديثى فى التصوف فاخترت أن أتحدث إليكم الليلة عن محبة الله تعالى وكيف تكون .

ما معنى المحبة :

جاء فى الرسالة القشيرية ما خلاصته :

المحبة حالة شريفة شهد بها الله تعالى وأخبر عن محبته للعبد ، فالله سبحانه يوصف بأنه يحب العبد والعبد يوصف بأنه يحب الله جل وعلا .

وارادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والانعام تسمى رحمة ، و ارادته تعالى لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة .

وارادته سبحانه صفة واحدة وبحسب متعلقاتها تختلف أسماؤها ، فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا ، واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة ، واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة ، وعلى هذا فالرحمة خاص من الارادة والمحبة أخص من الرحمة .

أما محبة العبد لله تعالى ، فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة ، وتحمله هذه الحالة على تعظيمه تعالى وإيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاحتياج إليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه .

بعض ما عبر به الصوفية عن المحبة :

عبر الصوفية عن المحبة بحسب ما وقع لكل منهم ، وقد تخيرت لكم بعض ما قالوه

فيها: _____

قال قائل منهم :

المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم .

وقال أبو اليزيد البسطامي :

هي أستقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك .

وقال أبو علي الروذباري :

المحبة الموافقة .

وقال أبو عبد الله القرشي :

حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء .

وقال الشبلي :

سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب .

وقال سمنون :

ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع

من أحب فهم مع الله تعالى .

وقال يحيى بن معاذ :

ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده .

وقال بندار بن الحسين :

رؤى مجنون بنى عامر فى المنام فقل له ما فعل الله تعالى بك ، فقال غفر لى وجعلنى حجة

على المحبين .

وقال الحارث المحاسبى :

المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا

وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه .

وقد كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ،

فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج ويقول

هل من مزيد .

وجاء فى أقوال أستاذى الملهم العارف بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه (توفى سنة ١٩٤٨) ما يقرب لكم فهم ما يقوله أبو يزيد :

أنا لو اشرب البحار جميعا لم أزل فى محبتى ظمّانا
لست أروى الا بقلبيك يا رب فهذا اللقاء أسمى رجانا
وقال أبو بكر الكتانى :

جرت مسألة فى المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا ، فقالوا له هات ما عندك يا عراقى ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظرا إليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هويته ، وصفا شربه من كأس وده ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، فهو بالله والله ومع الله .

فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله تعالى يا تاج العارفين .

وحكى عن أبى سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت يا رسول الله أعذرنى فإن محبة الله تعالى شغلتنى عن محبتك ، فقال يا مبارك من أحب الله تعالى فقد أحببى .

وقالت رابعة العدوية فى مناجاتها : الهى أتحرق بالنار قلبا يحبك . فهتف بها هاتف ، ما كنا نفعل هكذا فلا تظنى بنا ظن السوء .

الحب مذاق والتعاريف دالة عليه :

لعل التعارف المتقدمة تكون ألفت لكم شعاعا على الحب الآلهى الذى يسمو فى الواقع عن التكيف والتعريف ولا يعرف حقيقته الا بالمذاق .

ويعجبنى ما يقوله فى هذه المناسبة الأخ الأستاذ طه عبد الباقى سرور الكاتب الصوفى المعروف فى كتابه " رابعة العدوية " .

" والتصوف حقائق ورقائق مستقرها القلب ومستودعها الروح ومبعثها الحب وتاجها فيوض من الله تعالى ، وجماع ما يقال في مقاماته وأحواله أنها يقظة في الوجدان والمشاعر والحس ، يقظة فوارة بالعاطفة جياشة بالحركة متوثبة بالتطلع والتأمل والتفكر آفاق القدرة وآيات العظمة وسمات الرحمة .

" وانفساح في القلب حتى يرى مكاشفة ببصيرته ما يبصر الناس وما لا يبصرون من مكنون عجائب الله وآياته ومعارفه والهلماته واتساع في الروح وقوة حتى تهيمن وتسود وتشرق وتزكو ، والروح من أمر الله ونفخة من روحه .

" وحسبنا هذا فالكلام هنا أدق من شعرة الصراط وأرق من نسيج الزهر لا تحتمله الآذان ولا تصير عليه العقول وإنما نضع فوق الأبصار والآذان والعقول الآية الربانية الناطقة بمقامات المحبين :

" لهم ما يشاءون عند ربهم " .

تفاوت الناس في المحبة :

ويتفاوت الناس في المحبة بتفاوت ايمانهم ، فكلما زادت معرفتهم بالله زادت محبتهم واليكم الأدلة الشاهدة على ذلك من الكتاب والسنة .

يقول الله تعالى :

" ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا

لله..^١ .

^١ - آية : ١٦٥ من سورة البقرة .

ويقول أيضا :

" يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع

عليم^١ ، وقد ربت حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم على كتف سلمان الفارسي رضى الله عنه حين نزلت هذه الآية وقال هذا وذووه ، ونظرا لأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يرددوا عن دينهم فقد ثبتت محبة الله لهم ومحبتهم له تعالى .

ويقول :

" قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم " ^٢ .
وعلى قدر حرص المؤمن على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون درجة محبته لله تعالى .

ويقول :

" ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير " ^٣ . وتفيد هذه الآية أن أعلى الناس درجة فى المحبة هم السابقون بالخيرات باذن الله .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار " متفق عليه .

كيف يتدرج المؤمن فى المحبة :

^١ - آية : ٥٤ من سورة المائدة .

^٢ - آية : ٣١ من سورة آل عمران .

^٣ - آية : ٣٢ من سورة فاطر .

أساس المحبة الإيمان بالله ، والإيمان علم وعمل يزيد وينقص ، ولا يزيد الإيمان الا
بالأنس بالله ، ولا يتأتى هذا الأنس الا بقطع الشواغل عنه سبحانه وتعالى . فإذا انقطعت
الشواغل خلا القلب بربه

وذاق المؤمن لذة المناجاة واطمأن بالله (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله
تطمئن القلوب)^١ .

ومن ذلك تعلمون أن المؤمن يكون بين الناس ولكنه يختلف عنهم في مذاقه وأنسه ،
وهذه حالة روحية سنية تتأتى للمؤمن بعد مجاهدات طويلة لا يدركها الا المحبون .

نالوا مرادهمو بحب حبيبهم وتمتعوا بدنوه ووصاله

وعليهم ظهر الجمال لأنهم بقلوبهم نظروا لحسن جماله

وبه قد اشتغلوا وياطوبى لمن قد أصبح المحبوب من أشتغاله

وقد سئل بعض الحكماء ما الذى قطع الخلق عن محبة الخالق بعد أن عرفوه سبحانه ؟
فقال : لم يقطع الخلق عن محبته عز وجل الا حب الدنيا وزينتها لأنها محل الذنوب
والمعاصى ، والعاقل من رمى بالدنيا عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من
حبه أشتغالا بكثرة ذكره .

وإذا خلصت محبة المؤمن لربه نور الله باطنه وكان الله منه ملء السمع والبصر ، وفى
هذا المقام يقول أخى فى الله الصوفى المعاصر الأستاذ أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى
فى مقدمة مؤلفه " السمو الروحى فى الأدب الصوفى " :

" هو الذى نور باطن المؤمنين بهديه وشعشع أرواحهم بحبه وسربلهم بسربال جلاله
وأسكرهم من خمر جماله وأفاض عليهم من فيض أنسه وأطعمهم من لذيذ وصاله فغابت
نفوسهم عن المحسوسات واستظلت بعرش الغيب فظلت فى سر المكنونات فلم يأنسوا الا بنوره
سبحانه وتعالى ولم يروا حركة ولا سكونا فى الأكوان كلها دقت أو جلت ظهرت أو خفيت الا

^١ - آية : ٢٨ من سورة الرعد .

من تأثير أرادته فوهبوا أنفسهم وأنفاسهم لنور معرفته ورأوا سر قيموميته ساريا في جسد
الأكوان فنظروا إلى

نورها فغابوا عن الحس إلى حقيقة المشاهدة وفناء القرب أولئك الذين أصطفاهم الله لحضرته واصطنعهم لذاته وسيرهم فى الخلق على عينه سير المحبة والعناية والاختصاص وحفظ قلوبهم عن الأغيار وهياكل أرواحهم من الأشرار وكان منهم ملء السمع والبصر " .
 وأنتم ترون مما تقدم أن المحبة تأخذ بيد المؤمن وتتدرج به صعودا حتى يصل إلى مقام المقربين الذين أصطفاهم الله لحضرته واصطنعهم لذاته ويا لها من سعادة أبدية .
 فإذا وصل المحب إلى هذا المقام الكريم لم يرج جنة ولم يخف نارا وإنما يرجو رب الجنة ويخاف رب النار ولا يسكن أنينه وحنينه حتى يلقى الله راضيا مرضيا .
 لذلك لما قيل لرابعة العدوية أم المحبين رضى الله عنها ، ما تقولين فى الجنة قالت الجار ثم الدار .

وقد قالت حين سألتها سفيان الثورى ما حقيقة إيمانك ، قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا فى جنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا إليه وأنشدت :
 أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا
 فأما الهوى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عن سواكا
 وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراكا
 فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا
 ويفسر الإمام الغزالى أراءتها الهوى بحب الله لأحسانه إليها وانعامه عليها بحفظ العاجلة ، وحبها لما هو أهل له بالحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما .

علامة المحبة :

يقول الله تعالى مخاطبا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم :

" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم " ^١

^١ - آية : ٣١ من سورة آل عمران .



وقد وضع الله بهذه الآية الكريمة علامة الحب حتى لا تستتر على مؤمن يرجو محبة الله. واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بينت قاعدته الكبرى الآية الكريمة : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " ^١ .

أما فروع هذه القاعدة فقد رسمتها الشريعة الغراء التي قال فيها حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم " لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك " . ولم تنل من الشرائع عناية فى تدوينها وضبطها كما نالت الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم . واننا لنحنى رؤوسنا اعجابا بهمة الأئمة المجتهدين وأصحاب السنة والمفسرين ، فقد يسروا لنا بعملهم الخالد فهم الدين وابتغوا بذلك وجه الله ولم يريدوا منا جزاء ولا شكورا .

روحانية الاتباع :

وليس المقصود بالاتباع أن يكون اتباعا شكليا لا روح فيه فعبادة الشكل عبادة آلية لا تؤتى ثمرها وإنما المراد أن يكون الاتباع صحيحا فى شكله وتصاحبه روحانية صافية أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

ويقول عبقرى الشاعرية الصوفية جلال الدين الرومى فى توضيح الفرق بين المتمسك بالحروف والقشور والغائص إلى الروح والمعانى :

" هل قطفتم وردا من الواو والراء والدادل .

^١ - آية : ٧ من سورة الحشر .

- " أنتم تسمعون اسمه اذهبوا فابحثوا عن حقيقة المسمى .
" لا تنظروا إلى القمر فى الماء بل إلى القمر فى السماء .
" إن أردتم أن تترفعوا عن الأسماء والحروف .

" تطهروا من جميع صفات النفوس .

" حتى تروا وجودكم النوراني .

" نعم ترون فى قلوبكم علم النبى .

" دون كتاب ودون معلم أو مرشد .

" المسجد الحق يقوم فى قلب المسلم " .

وسائل كسب الروحانية فى الاتباع :

العلم بالتعلم ولا بد للسالك لله من أستاذ ناضج فى دينه يريه ويريه رعونات نفسه وعيوبها ويزيده يقينا فى الله وشوقا إليه ومحبة له . وقد بينت ذلك تفصيلا فى محاضرتى التى أشرت إليها آنفا ولكن لا بأس من أن أعيد عليكم ما قاله أستاذى الملهم الشيخ على عقل رضى الله عنه فى هذا المقام :

إذا لم يكن للنفس شيخ له هدى يؤدبها بالروح زاغت عن السير

ولا يعبر البحر الخضم ونوأه سوى ماهر يدرى الملاحة فى البحر

ولولا اتصال الكهرباء بأصلها على موجة التيار ما نورها يسرى

وترون من كلامه رضى الله عنه أنه شبه الطريق إلى الله ببحر ذى أنواء لا يستطيع المرء أن يعبره إلا بمعونة الملاح الماهر الذى يوصله إلى بر السلامة ، فإن جازف وجاهد فى العبور بنفسه دون دراية فإنه يتعرض للغرق من حيث أراد السلامة .

وقد قال محمد بن الفضل الصوفى " ذهاب الإسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون ويعملون بما لا يعلمون ولا يتعلمون مالا يعلمون ويمنعون الناس من التعلم " .

وظالب الله يجب أن يبحث عن الدال عليه ، ومن دعاء بعض الصالحين اللهم دلنى على من يدلنى عليك . وأنكم إذا تأملتم ما قصه الله تعالى علينا فى سورة الكهف لوجدتم كم حرص سيدنا موسى عليه السلام على الألتقاء بالخضر ليأخذ عنه علما من علم الله تعالى ،

وقد قطع الفيافي والقفار وتعب في هذا السفر الطويل الشاق حتى قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا - وقد تحمل عليه السلام تعباً على تعب حين ارتد على آثارهما قصصاً وكان ما حكى الله : فوجدا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً . قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً . قال أنك لن تستطيع معي صبراً . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً . قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً . قال فإن أتبعنتي فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ^١ .

فسيدينا موسى عليه السلام وهو من أولى العزم لم يترفع عن التعلم من العلم الرباني الذي يؤتيه الله لخواصه .

ولا يخفاكم أن الله علم حبيبنا المصطفى دعوة فاختار له طلب المزيد من العلم (وقل رب زدني علماً) وشريعتنا بحمد الله قامت على العلم فإن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى : " اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم " ^٢ .

وأفضل العلم ما قربك إلى الله وأدناك منه . لأنه يوصلك إلى الخروج من الدنيا بقلبك قبل أن تخرج منها ببدنك . فإذا خرج الإنسان من الدنيا بقلبه دخل قلبه الزهد وعرج عليه إلى محبة الله تعالى .

^١ - سورة الكهف من الآية ٦٥ إلى ٧٠ .

^٢ - سورة العلق من الآية ١ إلى ٥ .

وما أبدع ما يقوله إمامنا الأكبر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :
" أيها الناس انما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا
أستاركم عند من يعلم أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ،
ففيها اختبرتم

ولغيرها خلقتم ، إن المرء إذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم ، لله آباءكم ،
فقدموا بعضا يكن لك قرضا ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم " .

المحبة وطن المحبين :

والمحبون لله يرون المحبة وطنا لهم فإذا بارحوها ولو قليلا أحسوا بالغربة ، ولقد سمع
بعض المحبين شابا يغنى ويقول :

أنا فى الغربة أبكى ما بكت عين غريب
عجبا لى ولتركى وطنا فيه حبيبى
فهاجت أشجانه واشتدت به الحال حتى رثى له كل من رآه .

المجاهدة والتضحية فى الحب :

والمحبون يضحون فى محبة الله بكل غال ويرونه ثمنا زهيدا ولا عجب فى ذلك فقد عظم
الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم .

ويقول الإمام الصوفى الكبير سيدي أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

" لن يصل العبد إلى الله تعالى وبقي معه شهوة من شهواته ولا مشيئة من مشيئاته ولن
يقتل هوى نفسه حتى يأخذها بالقوة وشدة المجاهدة إلى أن يذلها تذليلا ويروضها على
نسيان ذاتها فيقف عند حد الذل إلى الله تعالى " .

ويقول سلطان العاشقين سيدي عمر بن الفارض رضى الله عنه :

وعن مذهبي فى الحب مالى مذهب وإن ملت يوما عنه فارقت ملتى
ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا قضيت بردتى

وقال بعض الصديقين سألت ربي بأى شيء أصل إليك يا رب ، فقال أترك نفسك وتعال .

ويقول سيدى أبو الحسن الشاذلى فى كيفية التدرج فى السلوك إلى الله :
 " أول منزل يطؤه المحب للترقى منه إلى العلا النفس فإذا اشتغل بسياستها ورياضتها
 إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرقت عليه أنوار المنزل الثانى وهو القلب ، فإذا اشتغل
 بسياسته حتى عرفه ولم يبق عليه منه شيء أشرقت عليه أنوار المنزل الثالث وهو الروح ،
 فإذا اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئا فشيئا على تمام نهاياته ،
 وهذه طريق العامة " .

" وأما طريق الخاصة فهى طريق مسلك تضحل العقول فى أقل القليل من شرحها "
 ويقول أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه :

نحن فى عالم اليقين رجال

قد غسلنا نفوسنا ثم غبنا

وشراب الرجال علم وحلم

انما نحن فوق ذاك شربنا

فتح الباب ثم قال لجوه

فولجنا وبعدها قد وصلنا

وقد قال أبو سعيد الخراز : تهت فى البادية مرة فكنت أقول :

أتية فلا أدرى من التيه من أنا

سوى ما يقول الناس فى وفى جنسى

أتية على جن البلاد وانسها

فإن لم أجد شخصا أتية على نفسى

قال فسمعت هتفا يقول :

أيا من يرى الأسباب أعلا وجوده

ويفرح بالتية الدنى وبالأنس

فلو كنت من أهل الوجود حقيقة
 لغبت عن الأكوان والعرش والكرسى
 وكنت بلا حال مع الله واقفا

تصان عن التذكار للجن والأنس
 وما أروع ما يقوله أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه :
 قتلت هوى نفسى فعشت بلا نفسى
 وجافيت أنسى فانحدرت إلى الأنس
 وما أتخذت روحى سوى الله غاية
 فتم الهدى للروح والقلب والحس
 وهل غيرت ذات الله للنفس مطلب
 حرام سوى الرحمن يدخل فى نفسى

بعض مواقف الحب فى القرآن :

يعتز المحبون بربهم ويركنون إليه بكلياتهم وجزئياتهم . ولما كانت محبة الله لهم سابقة
 على محبتهم له (يحبهم ويحبونه) فإن هذه المبادلة تجعلهم على الدوام فى الحماية التى
 خص الله بها أهل العناية ، فلهم فى كل ضيق فرج وفى كل محنة منحة .

وقد قص الله القصص فى القرآن وقال لحبيبتنا المصطفى صلى الله عليه وسلم :
 " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك " ١ .

وقد قابل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشدائد الكبرى باطمئنان المحب لأنه سيد
 المحبين والمحبوبين .

١- آية : ١٢٠ من سورة هود .

خذوا مثلاً موقفه فى الغار حين وصل كفار قريش إلى بابه ، وقال له مولانا الصديق
رضى الله عنه يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه

لأبصرنا ، فقال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ومضى فى صلاته راكعا وساجدا وأيد القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى :

" ثانى أثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم " ١ .

أو ليس الحب هو الذى جعل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يهون عليه ترك بلده مكة وهو البلد الأمين الذى نشأ فيه - وتحنت قبل الرسالة محبة فى الله ثم جاءت به أشرف رسالة مصحوبة بالسبع المثانى والقرآن العظيم . ويرحم الله أمير الشعراء شوقى اذ يقول :

ونودى اقرأ تعالى الله قائلها لم تتصل قبل من قيلت له بقم
هناك أذن للرحمن فامتلت أسمع مكة من قدسية النغم

أو ليس هو سليل إبراهيم عليه السلام الذى هاجر بأهله من قبل وقال مخاطبا ربه " ربنا أنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " ٢ ، وإنما خص الصلاة بالذكر لأنها عماد الدين كما أنها موأد الموحدين .

١- آية : ٤٠ من سورة التوبة .

٢- آية : ٣٧ من سورة إبراهيم .

وها هو إبراهيم الخليل الذى امتحن فى محبته لله بأقسى امتحان فقد أمره ربه أن يذبح
بيده ولده إسماعيل عليه السلام الذى جاءه على الكبر فما تردد فى الأستجابة إلى إرادة الله
تعالى بل غلب حب الله على حب ولده ، وقال يا بنى أنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا
ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين - صلى الله على الوالد وما
ولد .

وفاز إبراهيم عليه السلام بأعظم نجاح (وناديناہ أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أنا كذلك
نجزي المحسنين)^١ .

وقصة الفداء معروفة ونحن نذكرها في كل عام باضحية العيد ولكن شتان بين إسماعيل
عليه السلام والأضحية وشتان بين طعام الرواح وطعام الأشباح .

لا بل أنه بذاته إبراهيم عليه السلام الذي ألقى في النار فما وهن لما أصابه في سبيل الله
حتى أخدمت أنوار الحب لهيب النار (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم)^٢ .

وما أروع موقف السحرة الذين آمنوا على يد سيدنا موسى عليه السلام وهددهم فرعون
بالتعذيب فيما حكى الله تعالى :

" فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف انك أنت الأعلى * وألق ما في يمينك
تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فألقى السحرة سجدا قالوا
آمنا برب هارون وموسى * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر
فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبكنم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى *
قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه
الحياة الدنيا * انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى)^٣

^١ - الآيتان ١٠٤ و ١٠٥ من سورة الصافات .

^٢ - آية : ٦٩ من سورة الأنبياء .

^٣ - الآيات من ٦٧ إلى ٧٣ من سورة طه .

ثم ها هي امرأة عمران تقف من ربهها موقفا رائعا من مواقف الحب الخالص فيقول الله
عنها في القرآن الكريم :

" اذ قالت امرأة عمران رب أنى نذرت لك ما فى بطنى محررا

فتقبل منى أنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب أنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وأنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب^١ .

وها هو الله يهدد الناكِلين عن حبه تهديدا شديدا فيقول جل جلاله :
 " قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين "^٢ .
 هذه يا أخوانى وقائع ذكرتها لكم على سبيل المثال حتى تعلموا أن الرسل الكرام علموا أهل الإيمان كيف تكون محبة الله الحقّة وكيف يكون الجهاد فى كسبها وكيف تكون التضحية فى سبيلها .

من آثار المحبة :

أ - التسليم :

وكما يحب المحبون ربهم يحبون ما يقدره عليهم وان كرهته النفوس عادة .

^١ - الآيات من ٣٥ إلى ٣٧ من سورة آل عمران .

^٢ - آية : ٢٤ من سورة التوبة .

ويقرب هذا المعنى لأفهامكم ما جاء فى سيرة مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه من أنه مات له ابن فلم ير عليه جزع كجزع عامة الناس الذين يصابون فى أبنائهم ، فسئل فى ذلك فقال رضى الله عنه : " نحن أهل البيت نسأل الله فيعطينا فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضىنا " .

ب - التفويض :

كذلك يفوض المحبون أمورهم لله تعالى يدبرها كيف يشاء لإيمانهم بأنه تعالى يختصهم برحمته ويحيطهم بعنايته .

وقد قص الله علينا فى القرآن الكريم من عجائب تدبيره ما يزيدنا أطمئنانا إلى مبدأ التفويض .

فمثلا سيدنا يوسف عليه السلام حين كف نفسه عن الشهوة الجامحة محبة فى الله وقال " رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه " جعل الله له من السجن حكم مصر وصدق عليه السلام فى قوله إن ربه لطيف لما يشاء " واللطيف مصور الشئ فى قالب ضده فسبحان من إذا لطف بعبده جعل له المحن منحا .

ومن طريف ما اطلعت عليه ذلك الحوار الذى دار بين الإمام أبو القاسم الجنيد وتلاميذه من الصوفية فقد قالوا له أين نطلب الرزق ؟ قال إن علمتم موضعه فأطلبوه ، قالوا نسأل الله فيعطينا قال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه ، قالوا ندخل البيت ونتوكل قال التجربة شك قالوا إذن فما الحيلة قال ترك الحيلة .

واعلموا أيها السادة أن هذا المقام ليس لعامة الناس الذين ترتبط أسبابهم بمسبباتها بل لخولصهم الذين يجتبيهم لقربه ، ومن حكم سيدى بن عطاء الله السكندرى : ارادتك التجريد مع إقامة الله لك فى الأسباب من الشهوة الخفية ، و ارادتك الأسباب مع إقامة الله لك فى التجريد انحطاط عن الرتبة العلية .

ج - الصبر والمصابرة :

يتعرض المحبون لابتلاءات شتى فلا يتزعزع إيمانهم . ولهم فى هذا المقام مجاهدات لا يقوى عليها غيرهم ، ومن طريف ما قرأت أن صوفيا من بلخ سأل صوفيا آخر كيف حالكم ؟ قال خير حال اذا وجدنا شكرنا واذا فقدنا صبرنا . فلم يرق للبلخى هذا الحال فقال هذا الحال

الكلاب عندنا فى بلخ ، قال فما حالكم فى بلخ ؟ قال اذا وجدنا آثرنا واذا فقدنا شكرنا .
د - السكون والشجن :

ليس للمحبين سكن ولا شجن إلا بالله وكيف لا يكونون كذلك وقد وقفوا أرواحهم على
حبه وبقدرته كانوا وإليه تعالى يرجعون .
وإذا كان مجنون ليلى يقول :

إذا سمعت أسم ليلى ثبت من خبلى

وثاب ما صرعت منى العناقيد

ليلى تردد فى سمعى وفى خلدى

كما تردد فى الأيك الأغاريد

فما ظنكم بمن هام فى حب الله تعالى والله المثل الأعلى . وأين حب يفنى بفناء المعشوق
من حب يبقى ببقاء المحبوب .

وقد يهيج ساكن المحبين فلا يسكنون بعد الهياج إلا بقاء المحبوب . ومن أروع ما
اطلعت عليه فى هذا الباب ما حكاه الشبلى عن فتاة محبة ، قال رأيت جارية تهزل وهى
مأخوذة فأشفتت عليها وقلت لها هونى على نفسك فقالت هو ، فقلت لها ما أسمك قالت هو
فقلت لها من أين أنت آتية ؟ قالت من هو ، وإلى أين تذهبين قالت إلى هو لا أسلو هو حتى
ألقى هو ثم أنشدت :

وحرمة الود مالى عنكمو عوض وليس لى فى سواكم بعدكم غرض

ومن حديثى بكم قالوا بها مرض فقلت لا زال عنى ذلك المرض

فقلت لها ناشدتك الله ما تعنين بقولك هو الله تريدين ؟ فما كادت تسمع لفظ الجلالة حتى
شهقت شهقة ولفظت أنفاسها وماتت . قال فسعيت فى تجهيزها ودفنها فنوديت يا شبلى : من
هام فى حبنا وتوله فى طلبنا ومات باسمنا أتركه لنا فديته علينا - قال فالتفت أنظر من
المنادى فحجبت عنى فلم أدر أرفعت أم دفنت .

التشبه بالمحبين :

ومع عظم الجهاد يكون الخلود ، وإذا كنا لا نستطيع أن نبلغ في أعماق الحب مبلغهم فلا أقل من أن نتشبه بهم في إيمان غير مزعزع وهمة غير مترددة وعزيمة غير كاذبة لننعم بلذة الأتصال بالله .

وقد كانت أم المحبين رابعة العدوية رضى الله عنها تقول فى مناجاتها لله :
إلهى إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقنى بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فأحرمنيها ، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى .

وتقول أيضا وهى رقيقة أسيرة معذبة :
وسوف أتحمل كل ألم وأصبر عليه ولكن عذابا أشد من هذا العذاب يؤلم روحى ويفك أوصال الصبر فى نفسى منشؤه ريب يدور فى خلدى هل أنت راض عنى تلك غايتى .

وتقدس ربها تعالى لذاته فتقول :

" يارب اجعل النار لأعدائك والجنة لأحبائك وأما أنا فحسبى أنت " .

وتقول معتزة به تعالى :

حبيبى ليس بعدله حبيب ولا لسواه فى قلبى نصيب

حبيبى غاب عن بصرى وشخصى ولكن فى فؤادى ما يغيب

وتذكره تعالى بآلئه فتقول :

يا سرورى ومنيتى وعمادى وأنيسى وعدتى ومرادى

أنت روح الفؤاد أنت رجائى أنت لى مؤنس وشوقك زادى

أنت لولاك يا حياتى وأنسى ما تشنت فى فسيح البلاد

كم بدت منة وكم لك عندى من عطاء ونعمة وأيادى

حبك الآن بغيتى ونعيمى وجلاء لعين قلبى الصادى

ليس لى عنك ما حييت براح أنت منى ممكن فى السواد
إن تكن راضيا على فأنى يا منى القلب قد بدا أسعادي

ويقول سيدى أبى عطاء الله السكندرى فى مناجاته :

إلهى ماذا وجد من فقدك ، وما الذى فقد من وجدك ، لقد خاب من رضى دونك بدلا ،
ولقد خسر من بغى عنك متحولا ، كيف يرجى سواك ، وأنت ما قطعت الأحسان ، أم كيف
يطلب غيرك ، وأنت ما بدلت عادة الأمتنان .

ويقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

المحبة آخذة من قلب عبده كل شىء سواه ، فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا
بمعرفته والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمورا فى مشاهدته والعبء يستزيد ويفاتح بما هو
أعذب من لذىذ مناجاته ليكسى حلل التقرب على بساط القربة ويمس أ بكر الحقائق وثيبات
العلوم .

ويقول أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه فى فتوحاته القدسية :

إنا محبوبه آثرنا الحياة له	فلا نلام على أحياء تقواه
إن كان حبى جنونا بئسما زعموا	يا رب زدنى جنونا أنت منحاه
قالوا اتخذ لك جاها تستعين به	قلت اتخذت فكفوا حسبى الله
قالوا صف الحب لا تخطئه فى صفة	إن كان وصفك بالحق اتبعناه
فقلت صدق وأخلص وتكرمة	وأن تموت وأن المقصد الله
وأن تعيش مع الرحمن منكسرا	وأن يكون لك البارى هو الجاه
وأن تسير على الشرع الشريف ولا	تخل بالحكم أو تلعب بمعناه
إن أنت واصلت صبورا فى الأمور ولم	تجزع لشىء فغفو الله تعطاه
فإن تكن هكذا كنت المحب فإن	قالوا ابتدعتم أجبنا قد رضينا
ومن سوى الله نرضاه ونقصده	منذا يشابه رب العرش نهواه

ويقول :

الحب إن ملك النفوس أعزها
من لم يذوقوا ذكر خلاق السما
بل ربما فطن البهيم لربه
يارب عين أبصرت لكنها
والأصل فى الدنيا المحبة والهدى
والعاشقون بربهم علماء
هو والبهايم فى المقام سواء
والغافلون عن الهدى بلهاء
لا تهتدى للحق فهى عمياء
لولا الهدى لم تخلق الأشياء

ويقول :

لا تحارب بالعذل قلب محب
وتلطف به فقد حكم الشوق
أعذرونى أو أعذلونى فأنى
إنما اللوم فى المحبة عندى
حرب الحب مثلما حرب العاشق
قد رضينا بالله لا بسواه
لى به قوة ولى منه لطف
أعلم الحب علم أهل التجلى
قد تناءيت عن سواه بكلى
وإذا ما نظمت تسبح روحى
تسكب العلم فى مقاطع نظم
لى غناء لو يسمع الصخرتلقاه
وإذا الطير يأخذ السجع عنى
حلية الناس جوهر وعقود
نجتلى ذكره ونرتاح فيه
نتنادى إلى اليقين هلموا
أننا ملكه وموعدا الحشر
كل قلب به جمود فإن داوم
أعرف الله ثم مل عن سواه
وتزود من المحبة بالتقوى
قد علمنا أن المحبة كنز
عالج الشوق عمره ولهانا
عليه فلن يفيق جنانا
لست أخشى الملام من حيث كانا
لا يزيد المحب إلا أفتنانا
تلق الملام يذكى هوانا
ما لقينا لما رضينا هوانا
وبهذا أرى الحصاة جمانا
لست أحتاج فى الهوى ترجمانا
وتلقيت سره أحسانا
تملاً الكون قوة وبيانا
قد جلواناه للورى ألعانا
من الوجد والمهابة لانا
كان والله فى الذرى سبحانا
وتقى الله يا رجال حلانا
فانتهاننا فى الذكر منه ابتدانا
وبهذا لربنا نتدانى
فهل عنه لحظة نتوانى
نكر الخلاق بالذكر لانا
كان عرفان غيره كفرانا
ولازم بقلبك الرحمانا
كل من صانها سما بنيانا

ومن أراد المزيد فليراجع ديوانه المسمى " السمو الروحي فى الأدب الصوفى " لمؤلفه الأستاذ أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى وهو مطبوع بمطبعة الحلبي فى سنة ١٩٤٩ .
وقد أرانا أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل مثلاً حيا من مثل المحبين وكان فى جهاده وسهره لا يشق له غبار ، وكنا نسهر معه بعض الليالى إلى صلاة الفجر فيطوى الليل كأنه دقائق ، أما هو فقد جفاه النوم قرابة أربعين عاما وكان يقطع الليل عابدا وذاكرا وواعظا وفى ذلك يقول رضى الله عنه :

ألوذ بالله لا أبغى به بدلا	ومن يلذ بجلال الله يسعده
أرضى به وهو يرضينى ويغمرنى	بغفوه وبهذا العلم أعبده
أخلى فؤادى له من كل شائبة	إن عشت أو مت أعضائى توحدته
وكيف أرضى بغير الله متجها	والكل والجزء والأحشاء تعبده
إذا سهرت فما أسهرت عن ملل	لكنه الحب يدعونى وأذهده
ومنذ تغزلت فى ربي وما ألفت	روحي سواه تجافى الجفن مرقدته
إذا مددت يدي لله أسأله	مدت إلى بمعنى فضله يده

أخوانى

أريتكم صورا للسلف والخلف من المحبين والمحبات ونطمع فى هذا الأجماع المبارك أن تهب علينا من ذكراهم العاطرة نفحة طيبة تنعش أرواحنا ذكورا وأناثا فتدفعها فى جنب الله إلى شوق شديد يزكو به إيماننا ويزدهر بفضلها يقينها فتطيب حياتنا فى الدنيا والآخرة وندخل فى أوصاف عباد الله الصالحين الذين قال تعالى فيهم :

" التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين " ^١ .

^١ - آية : ١١٢ من سورة التوبة .

كما قال فيهم :

" أن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخالصين والخالصات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيمًا " ^١ .

وقفنا الله وإياكم لما يحب ويرضى وجعلنا ممن قال فيهم " يحبهم ويحبونه " .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

—

وقد عقب السيد الأستاذ الفاضل عبد الرحمن الجدلي فأفاض في الكلام عن التصوف ومنزلته في الدين وأثره في تهذيب النفوس وحاجة الناس إليه في هذا الزمان ، ثم عرض قصة الإمام الغزالي حين حضرته الوفاة فطلب ثوبا أبيض وأختلى بنفسه إلى أن دخل عليه ذووه فوجدوه ملففا بالثوب الأبيض وقد فارق الدنيا ، وقد كتب على رقعة تركها بجواره هذه القصيدة الرائعة التي منها :

قل لأقوام رأوني ميتا	فبكوني ورثوني حزنا
لا تظنوا الموت موتا أنه	لحياة وهو غايات المنى

^١ - آية : ٣٥ من سورة الأحزاب .

كنت قبل اليوم ميتا بينكم
وأنا اليوم أناجى ملاً

فحييت وخلعت الكفنأ
وأرى الله جهارا علنا

عاكف فى اللوح أتلو وأرى كل ما كان تنادى ودنا
لا ترعكم هجمة الموت فما هو إلا نقلة من ها هنا
وطعامى وشرابى واحد وهو رمز فافهموه حسنا
ليس خمرا سائغا أو عسلا لا ولا ماء ولكن لبنا
فافهموا السر ففيه نبأ أى معنى تحت لفظى كمننا
وأعقبه السيد الأستاذ محمد جاد الرب المفتش بوزارة التربية والتعليم فقال :
حللنا ناديا فيه رجال شعارهم المحبة والطهارة
بناء عبقريا قد نمته إلى الفردوس هاتيك النضارة
يطالعك الجمال بكل ركن فتعجب من أعاجيب الحضارة
رجال المال : مأمور مدير وزير . أو وكيل للوزارة
وشأن جميعهم جمع وطرح وتقدير المكاسب والخسارة
لقد جمعوا القلوب على وداد وقد طرحوا الخلاف ومن أثاره
وكانوا المخلصين لذا تساموا إلى أسمى المناصب عن جدارة
تحية حاضرين وحاضرات وتهنئة لأعضاء الإدارة
ولو أنصفتم النادى جعلتم جمال الدين والدنيا شعاره
وأجمل ما رأينا أو سمعنا نداء الدين فى نادى التجارة

ثم قال : ان من أعجب العجب أن يكون رجال الأرقام والحساب يحاضرون ويتحدثون فى ناديهم عن التصوف وتربية الروح والتهئية ليوم الحساب ، وأنه ليسرنى أبلغ السرور أن يكون السادة المستمعون - والكثير منهم أو أكثرهم - من رجال المال والأقتصاد مستجيبين لدعوة السيد الأستاذ العالم الربانى حسن الملطاوى إلى السير فى هذا الطريق القويم مستعدين لذلك أتم الأستعداد .

ثم ختم حديثه بقوله : لقد يخيل إلى أن للتجارة التى ينتسب إليها أهل هذا النادى الموقر مفهوما آخر غير الذى تعارف عليه الناس ، ذلك المفهوم هو ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله : يا أيها الذين آمنوا هل

أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون .

وقوله تعالى : يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله .

ثم عقب أخيرا ابن السيد العارف بالله الأستاذ عبد المنعم الحلواني وكان مما قال :

إن السيد المحاضر حلق في آفاق علوية بعيدة المدى ، ثم اتجه إلى الحاضرين موجهها

إلى لزوم الطريق والعزوف عن نزعات الشياطين وإلى مخالفة النفس والهوى .

وختم حديثه محذرا من اليأس والقنوط من رحمة الله التي وسعت كل شيء إن الله يغفر

الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم .